وقد أطل علينا شهر الثورة والعطاء

كيف نضع الأجيال أمام الحقائق ؟؟

محمد الزبيدي

● وأطل سبتمبر الثورة والتاريخ في عودته الثانية والأربعين ليؤكد بعودته أن في الزمن حقباً لاتنسى وأشهراً وأياماً وأعواماً لاتفقدها ذاكرة الشعوب تشكل معالم يتمحور حولها التاريخ وتوشى صفحاته وتحن إليها أجياله تستهوي النفوس فتستعيد من عبقها ذكرياتها.

وسبتمبر (أيلول) الذي يصافح الأجيال بعودته كل مرة منذ حفرت ذكراه بليلة السادس والعشرين من عام ١٩٦٢م إنما يوافي بعوداته المتكررة أفئدة تهوي إليه وتستريح لطلعته لا لأنه قطعة جامدة من الزمن وإنما لأنه ترك أموراً كثيرة هي من صنعه ونفحاته.

ولهذا فمن حق أيامه أن تسجل كيوميات بأحرف من نور لا لأن سبتمبر انتشل شعبنا من براثن التخلف والاستبداد والنظم الوراثية وحسب وإنما لأنه أجرى في شرايين الحياة نبض الآمال والطموحات وملأ الأودرة الضامرة والتي كانت تشبه أودرة الموتى بالدماء لتستأنف الحياة مسيرتها بعد أن ركدت وتجمد كل شيء فيها كما لو كان الزمن قد تجمد عند نقطة معينة، وما أشد انطباق قول الله تعالى: «أو من كان ميتاً فأحييناه»، وقد ورد في تفسير هذه الآية من المراد بالموت الجهل وبالحياة العلم، وهاهو العلم دخل حياتنا نحن اليمنيين بقوة وعنفوان لايمكن أن يجحده أي مكابر وتلك نقطة تجسدها المرافق العلمية المتنوعة بدءاً بمدارس التعليم الأساسي وانتهاء بكليات الجامعات المبثوثة في معظم عواصم المحافظات، وهذا هو نبض الحياة الذي يؤكد حيويتها وإذا كانت هذه هي الاشارة إلى الانجازات العلمية فإن شجرة الحياة قد أورقت وتفرعت بعد أن كانت جدباء وكان شعبنا يعاني من موت سريري تنتاشه الأمراض والجوع والفقر وموت الآمال التي هي المحرك للتفاؤل.

ونحن لاندعي أن سبتمبر قد غير جذرياً كل شيء، ولكنه منذ عام ١٩٦٢م يواصل مسيرته في محاصرة التخلف عبر كل مجال، إن بالنسبة لحياة الأفراد أو المجتمع.

لقد كان اليمن غير معروف على الخارطة الدولية لأنه لم تكن هناك دولة ولا مقومات الدولة، وكانت العزلة تلف اليمن وتمحور أحرف اسمه من الخارطة، واليوم وقد تجاوز عمر الثورة السبتمبرية الأربعين عاماً بعامين فلابد وأن نمرر ذاكرتنا عبر ٤٢ سبتمبر بهدف المسح لما أنجزته بلادنا ولا ترانا في حاجة للمقارنة بما كان قائماً قبل قيام الثورة المظفرة لأنه لايوجد أساس للمقارنة، اللهم إلا أن تكون المقارنة بين العدم والوجود أو بين الموت والحياة ممثل هذه المقارنة تكتسب مصداقيتها من الواقع الموضوعي. لقد كان المواطن اليمني مزارعاً نشيطاً وكان يجني الكثير من المحاصيل إلا أن محاصيله تلك سرعان ماتنفد لأنه كان يتغذى من ذلك المحصول ويتداوى إن وجد الدواء منه ويكسي نفسه، ومن يعوله منه فضلاً عن المصاريف الضرورية والغرم، وما أكثرها الأغرام التي كان يعاني منها، ومن أجل هذا فقد كان ينفد منه المحصول في أقرب وقت وبعدها يتجه للديون ولا تأتي غلة أمواله وثمرة جهده إلا وقد أثقلته الديون وعبث به الحاجة مع أنه كان يعيش متقشفاً بكلما تعيشه كلمة تقشف وكان في مثل هذا الوقت من كل عام يواجه الخصاصة فعلاً، وحسبنا انه قبل قيام الثورة السبتمبرية لو قام بمسح شامل لبيوت القرية في الساعة الثامنة صباحاً وما بعدها ليحصل على كسرة من الخبز فإن من المستحيل أن يحصل عليها، وما عليه إلا أن يتذرع بالصبر حتى يحصل طعام الغداء، أما اليوم فإن الإنسان لو قام بنفس المسح في ذات القرية فإن باستطاعته أن يحصل على أطنان من الخبز الفائض هذه هي إحدى أوجه المقارنة في أبسط صورها وعلى محيط الأفراد في القرية أو القرى وهي تعني مسافة التحول في مثل هذه الزاوية الحادة وقد يعتقد البعض أن مثل هذه البسائط التي تنشر على صفحات الصحف ليست سوى خيالات وأوهام ومثل هذا الاعتقاد -لو وجد-خاطئ لأن مانتناوله بمثل هذه البساطة لابد وأن يكون في مثل هذه البسائط التي تمس وبصورة مباشرة حياة المواطن ولا يتذكرها إلا من عاشها واحتسى مرارة نظام الإمامة الذي مزقته الثورة السبتمبرية.

وإذا كانت الثورة سوف تطوي عامها الثاني والأربعين بعد أسابيع فإن هذه المسافة الزمنية تمثل عمر جيل والأجيال الجديدة في أمس الحاجة لمن يرسم لها ملامح من أزمنة الفقر والجهل والمرض لتكبر في عينها النعمة التي وصلت إليها من ناحية ولتدرك ماذا يعني شهر سبتمبر من الناحية الثانية ولتكون أشد حذراً ممن يحاولون خداعها بالأكاذيب من الناحية الثالثة، وبالجملة فإن سبتمبر قد أطل بطلعته البهية وبغرته الوضاءة السنية فمرحى سبتمبر في عودته الثانية والأربعين.

في صنعاء القديمة

مستشفى الزبيري معضلة تبحث عن حل

مهندس/ عتيق صبر

● يعد مستشفى الزبيري في مدينة صنعاء التاريخية .. من المنجزات العظيمة للدولة.. التي عمل لها الأهالي ألف حساب .. واستبشروا خيراً بعد انجازه الذي دام أكثر من سبع سنوات.. حيث شيد هذا المستشفى على أنقاظ مستوصف رعاية الأمومة والطفولة.. والذي كان يقوم بخدمة الأم وطفلها.. على مستوى هذه المدينة والقرى المجاورة لها.. ولا يزال الجميع يتذكر الخدمات الجليلة التي كان يقوم بها ذلك المستوصف .. نتيجة لدعم الدولة في ذلك الوقت .. وكانت تشرف على رعايته منظمة الصحة العالمية" اليونيسف" .. وتوظيف العديد من الأطباء الأجانب وبخاصة الألمان لرعاية المرضى من الأمهات والأطفال.. وكانت منافعه جليلة استفاد منها الكثير.. ووصلت شهرة هذا المستوصف حتى ملئت الأفق .. وبرغم إمكانياته المتواضعة حينها إلا أنه كان يستوعب حالات مرضية كثيرة ومنها حالات الرقود وإسعافات الولادة.. إلى جانب توزيع الأغذية والعلاجات المجانية لكثير من الأسر.

لا وقت لسرد الفوائد الجامة من ذلك المستوصف ونعود إلى مستشفى الزبيري حالياً..هذا الصرح الذي شيد بما يتلاءم مع متطلبات المستشفيات الحديثة نوعاً ما.. ويستوعب التجهيزات والمعدات الطبية الحديثة واللازمة.. ويحوي ستين غرفة موزعة على ثلاثة طوابق للاستقبالات والمعاينات الخارجية.. والعمليات.. وغرف للرقود مع أسرتها المطلوبة.. والطوارئ والداخلية.. ومولد ضخم للكهرباء خاص بالمستشفى يعمل أتوماتيكيا في حالة الطوارئ..

ولكن لم ير هذا المستشفى النور كما يجب .. وليس له معيناً ولا نصيراً.. ولم يلق الاهتمام الكامل من قبل جهات الاختصاص كما هي عليه بقية مستشفيات أمانة العاصمة.. بل ترك وحيداً تتخبطه الأمواج من جهة إلى أخرى..

وحبذا لو يعود هذا المستشفى كسابق عهده . في تقديم الخدمات الطبية الخاصة بالأمومة والطفولة .. وذلك لاعتبارات كثيرة .. ومنها تركيز الجهود على هذا المجال بدلا من التشتت في المجالات المتعددة .. والتي قد لايستوعبها هذا المستشفى وخدمة للكثافة السكانية على مستوى الحارات العديدة للدائرتين الأولى والثانية .. ودعوة منظمة الصحة العالمية لتمويله والاشراف عليه كالسابق .. حتى يأتي بثماره الموجودة .. في خدمة الكم الكبير من الأمهات والأطفال في هذه المدينة التاريخية.. مع مراعاة فتح المداخل الرئيسية .. ومنها مدخل حارة طلحة وباعتباره منفذاً هاماً وإلى المستشفى والحارات المجاورة له.. وشريان مؤدي إلى طريق السايلة الرئيسي لهذه المدنية .. مع الأخذ بالاعتبار .. قيام الدولة بوضع الحلول المناسبة لبعض المتضررين من السكان عند فتح هذا المدخل .. وتنظيم حركة المرورفية.. وبالتالي إيصال الحالات الاسعافية بسهولة ويسر..

ومراعاة شكاوى وتذمر إدارته والموظفين العاملين فيه.. من قل الإمكانيات المتوفرة .. وعدم صرف المستحقات الكفيلة بتشغيله بالكامل .. والمماطلة في تثبيت وظائف البعض منهم حتى الآن .. برغم مرور أربع سنوات على افتتاحه .. وضآلة المكافئات الرمزية التي تصرف للمتعاقدين منهم.. وخلاصة القول.. بأنه من الحرام أن يبنى مستشفى بهذه المواصفات ويوسع بنيانه على حساب الطرقات المحيطة به. وحفاظا لأموال الدولة من الضياع .. نتيجة لعدم تنفيذ الاستراتيجية الكاملة التي تبنى على أساسها مثل هذه المشاريع..

وفي اعتقادي بأن عدم تعاون جميع الجهات الخاصة بشكل كامل قد أدى إلى أن يقدم هذا المستشفى خدمات دون المستوى المطلوب منه بكثير .. ولم يستغل الاستغلال الأمثل كما كان مرجو منه .. والأمر متروك لقيادة المديرية بالمجلس المحلي .. وأمانة العاصمة.

الفوارق «الصحية» بين شعوب العالم

د. سعيد حداد

■ لقد أدركت الحكومات والمنظمات الدولية الحاجة الى تحسين صحة الفقراء في عقد السبعينات من القرن الماضي، ورفعت منظمة الصحة العالمية آنذاك شعارها المشهور (الصحة للجميع بحلول العام ٢٠٠٠) وقام ممثلون لمائة وثلاثين دولة بالاجتماع عام ١٩٧٨ في (كازاخستان) ووقّعوا اعلان (ألما آتا) والذي قال: ان عدم المساواة في الحالة الصحية بين شعوب الدول النامية والدول المتقدمة هو حالة غير مقبولة سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً.

وللأسف، فلم يتحقق هدف الصحة للجميع لكثير من الشعوب الفقيرة على الرغم من مرور سنين طويلة عليه، وبقي معدل العمر لدى هذه الشعوب لا يزيد عن الخمسين عاماً، وما زالت تموت في افريقيا أعداد كثيرة من البشر بسبب أمراض الاسهال والملاريا والحصبة، وما زالت الفوارق الصحية بين الدول قائمة، وما زالت الملايين من المواليد الخدج تموت بسبب ارتفاع نفقات العلاج والخدمة الصحية.

هذا، وكانت أكثر من نصف الوفيات بافريقيا في عام ٢٠٠١ من الأمراض ممكنة الشفاء (كالالتهابات المعوية والطفيلية)، بينما كانت في أوروبا لا تتجاوز ٢٪ من نسبة الوفيات، وان ٢,٣ مليون من البشر يموتون سنوياً في الدول النامية والفقيرة بسبب الامراض الثمانية الممكنة الوقاية بالتطعيم والتلقيح، وهذه الأمراض ذات المطاعيم المتوفرة والناجحة بنسبة تكاد تصل الى ١٠٠٪ هي: شلل الاطفال، الدفتريا، التيتانوس، السعال الديكي، الحصبة، السل، النكاف والسحايا.

وما تزال الفجوة بين الدول الفقيرة والغنية في اتساع مطرد، فمثلاً: انخفضت نسبة الوفيات الى أقل من ٥٪ في أكثر من ٧٠٪ من الدول الغنية ما بين الاعوام ١٩٧٠- ٢٠٠٠، بينما بقي هذا العدد بحدود ٤٠٪ في الدول الفقيرة.

وفي حين ان معدل العمر لايتجاوز ٤٩ عاماً في الدول الفقيرة، فإنه وصل الى ٧٥ عاماً في أوروبا وأمريكا الشمالية، وحسب منظمة الصحة العالمية، فإن الفجوة العالمية بين الاغنياء والفقراء تعكسها مجموعة من الامراض والتي تؤثر بشكل غير متناسب في الشعوب الفقيرة في الدول النامية كمرض نقص المناعة، الملاريا، السل، والامراض المتعلقة بالحمل والولادة، بالاضافة الى أمراض ذات علاقة مباشرة بالتدخين.

وتقدر منظمة الصحة العالمية بأن الفرد يحتاج الى ٣٠ -٤٠ دولاراً أمريكياً سنوياً كحد أدنى لتلبية حاجته الصحية المتمثلة بالأسباب الصحية فقط دون ان تنال منه أمراض مكلفة المعالجة، وبينما لم يصل هذا المعدل الى ١١ دولاراً لمواطن الدول الفقيرة فإنه يبلغ ١٩٠٠ دولار لأفراد الدول المترفة، وقد بلغ الانفاق عام ١٩٩٨ على كل فرد من أفراد الدول الاعضاء في المنظمة (١١) دولاراً أمريكياً في الدول الفقيرة، (٢٣) للدول ذات الدخل المنخفض، (٩٣) لدول تحت الوسط، (٢٤١) لدول فوق الوسط، (١٩٠٧) دولارات للدول الغنية المترفة.

ان الادهى من كل هذا، ان سوق الدواء لا تهتم بالاوساط الفقيرة لأنها غير مربحة بالنسبة لها، ففي الفترة ما بين ١٩٧٥- ١٩٩٧ كان هناك ١٣ عقاراً فقط من أصل ١٢٣٣ كانت قد وصلت الى تغطية شاملة لكل سكان الارض، بما يعني ان الترويج الدوائي وتعميمه لا يصل الى الدول الفقيرة الا القليل القليل، والذي لا يلبي كل الحالات المرضية التي يتعرض لها سكانها.

أخيراً، تؤكد منظمة الصحة العالمية وخبراؤها على ضرورة وجود استراتيجيات متعددة يمكن تطبيقها في دول الفقر، وذلك من أجل الوصول بسكان تلك الدول الى حالة مرضية من تحسين معدل أعمارهم، وليتمتعوا بخدمات وامكانات صحية أفضل، ومن بين هذه الاستراتيجيات:

● توسيع مظلات التأمين الصحي بما يقترب من التأمين الصحي الشامل لسكان الدول الفقيرة والدول محدودة الموارد.

● دمج التأمين الصحي بمنظومة التأمينات الاجتماعية، بحيث تقوم هذه المنظومة بتغطية النفقات الصحية لمواطني الدول التي تنتهج هذا الاسلوب، كما هو الحال في تشيلي مثلاً.

● تفعيل عمل شركات التأمين الخاصة، ليشمل ذوي الدخول المتدنية والمحدودة.

● توسيع خطط الصحة العامة وعوائدها، واشراك الجهود الشعبية بهذه الخطط، كما هو الحال في الصين والهند واندونيسيا، حيث تقوم الكثير من الجماعات الاستثمارية ذات الربح الموسمي بدعم صندوق التأمين الصحي، اذ أنها تتبرع بنسبة من أرباحها في نهايات السنوات المالية، وكذلك يقوم الفلاحون والريفيون بدعم هذا الجهد الصحي عند مواسم قطف غلّتهم وبيعها.

● تحسين فرص الاستثمار بالدول الفقيرة ورفدها بمشاريع وخبراء لتحسين التنمية والناتج المحلي، وايجاد فرص العمل والتشغيل لأعداد كبيرة من الناس، والهدف أولاً وأخيراً هو تحسين الدخول الفردية والقومية لتلك الدول.

دعوها .. فإنها الحالقة..!!

أحمد الفقيه

● كلنا يعلم علم اليقين أن باب الفتنة مصارعه متعددة. وأحجامه متنوعة .. وطرائقه متباينة .. وباب الخير والصلاح وأحد مداخله وخروجه .. متى ماصلحت القلوب استقامت الجوارح وهذّبت النفوس .. شاع الخير بين الناس وأثمرت الأعمال الخيرية .. وتمت روح الصفاء والنقاء بين الجماعات والأفراد..

أما الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في أوساط مجتمعاتهم .. ويشطحون في آرائهم وأفكارهم ومذاهبهم من باب الاستعلاء والغرور وإشعال الفتن النائمة هم واهمون، وسادرون في غيّهم وضلالهم البعيد .. لذا فنور الفضيلة طريقة واضحة .. مهما اختلطت نيران الذين يسرحون ويمرحون في دهاليز العلم من باب إيقاظ الفتن وتأجيج الصراعات المذهبية والعصبية .. فلنحذر ماسونية القرن الحادي والعشرين التي كان وراؤها علماء ومفكرين وأدباء عرب وغير عرب أرادوا بها شق صف الأمة الواحدة باسم المساعدات والهبات الممنوحة من تلك المنظمات المشبوهة لاأدري لمصلحة من يعملون؟!

فإشاعة البلبلة والفوضى والخلافات باسم الدين أمر مرفوض نصاً وروحاً .. فالدين جاء لتوثيق روابط الإخاء .. وتقوية أواصر ووشائج القيم والمُثُل والتعاليم بين أفراد المجتمع والمجتمعات .. لذلك حدد علماء الأمة الأسس والقواعد والمعايير النقلية والعقلية في معالجة قضايا وأحداث ومستجدات إفرازات العصر .. فالعلة الحقيقية تكمن في التعبئة الخاطئة وفي الفهم المغلوط في تفسير النصوص الشرعية، والأحكام النصية .. والكتب المذهبية التي تتناول بعض أحداث وتاريخ السلف بصورة محرفة وقاتمة ومشوهة..

فبدلاً من أن يتجه علماؤنا الأجلاء إلى تنوير الأمة، وتبصيرها بفضائل الأخلاق والقيم .. وتوحيد صفوفها وكلمتها أمام التحديات السافرة والتيارات المناهضة والمعادية لتقاليدنا وعاداتنا وقيمنا الروحية والاجتماعية، نراهم يتصارعون ويتبارون بمسائل فرعية لاتغني ولا تسمن من جوع..

فالتحديات التي تواجه الأمة عديدة ومتباينة .. ومن الخطأ الجسيم أن ننسب العقيدة إلى فرد بعينه .. أو جماعة معينة.

لأن دين الله هو دين الحق إلى قيام الساعة ومن قيمه الجوهرية التي تعتبر من الثوابت المرجعية الثابتة والراسخة الإيمان بالله، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

ولذلك جاء الدين بمنظومة متكاملة مترابطة من المبادئ والقيم والمُثُل والأخلاق تقوم على أركان ثابتة وراسخة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة .. لاتتغير بتغير الأزمنة أو الأمكنة .. ولكنها تتفاعل وتتجاوب مع المستجدات والمتغيرات دون أن تفقد جوهرها وأصالتها ورونقها الأصيل..

من هنا ينبغي على علمائنا الأفاضل أن يؤمنوا بالتخصصات في علوم الدين .. فهذا عالم في مجال الحديث .. وذلك عالم في مجال التفسير .. وآخر عالم في مجال أصول الفقه، وهكذا دواليك.

من هنا نقول لاداع للانشغال بقضايا هامشية .. وفرعية «البيضة من الدجاجة .. أم الدجاجة من البيضة»..

فعلينا أن نعقد العزم والعزيمة على إيلاء أكبر قدر من الاهتمام لقضايانا التنموية الشاملة، ومنح المناطق المحرومة من المشروعات الخدمية مزيداً من العناية والرعاية .. وصولاً بها إلى النهوض والرقي: اقتصادياً وزراعياً وعلمياً وثقافياً واجتماعياً .. بدلاً من الصراعات والخلافات التي تهلك الحرث والنسل..

فالعصر عصر صناعة العقل .. والانسان هو مربط الفرس في عملية البناء التنموي الشامل .. لذلك لابد من تربيته تربية صالحة منشؤها العقيدة الصافية النقية .. وتعليمه تعليماً راقياً مواكباً لروح العصر .. وتأهيله بمناهج علمية راقية، ونظم وفلسفات تربوية متطورة نابعة من عقيدته وقيمه الروحية والحضارية والتاريخية والاجتماعية .. فالحوار هو ثمرة العلم .. والتعايش بين الأمم والشعوب ضرورة إنسانية وحتمية..!!

مفردات سلبية

فيصل علي

● ليس من العيب أن يمضي كل منا في طريقه وإلى الوجهة التي اختارها لنفسه من عمل وعلم وبناء وتحديث أو أي عمل شريف يعمله ، إن الأعمال مع كثرتها وازدحام أوقاتنا بها، لن تنسينا أن نتناصح فيما بيننا، وقد حثنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم على التناصح بقوله (الدين النصيحة) .

والنصيحة تمنحنا دفء المجتمع الذي نعيش فيه فمهما غلط الواحد منا إلا أنه سيجد من ينصحه، ويقيم عمله، إن حاجتنا إلى التناصح تفرض علينا أن نقف أمام ظواهر اجتماعية تفشت ،وهي كثيرة فمن منا يمر في حارته ،وشارعه ولا يسمع الأطفال يتلاعنون ويتسابون بالمحرمات ،فمن منا يحرك ساكنا، وكم واحد منا جلس إلى أولئك الأطفال وحدثهم ونصحهم بالابتعاد عن الكلمات السيئة،وفي شوارعنا نجد الكثير ممن يرمون المخلفات فهذا يرمي بأعقاب السجائر وآخر بقشور الفاكهة وسائق يرمي بالعلب الفارغة،والبائع المتجول إذا رأى فرصة رمى بالمخلفات في أقرب " زغط".

إن هناك مظاهر سلبية في مدننا اليمنية ففي إحداها عندما يقام عرس فإنك تسمع الأغاني والأهازيج من مكبرات الصوت من صباح رب العالمين إلى آخر الليل، ناس فرحانين أدام الله سرورهم ، وهم لا يعلمون أن هناك أمراض يتوجعون من ألم المرض وألم الحاجة، وآخرين يبكون على موتاهم وعلى مصائب حلت بهم، والعريس يستمع مع محبيه والأحياء والحارات المجاورة، فهو يريد أن يقول للجميع أنه معرس وسيلتقي بمن أحب ، نحن نبارك لكل العرسان ونقول لهم إن الفرح لا يعني إزعاج الآخرين وإقلاق راحتهم ولكن استمتعوا مع أهلكم وضيوفكم بما تحبون سماعه وارحموا جيرانكم من ضوضاء مكبرات الصوت.

ومظهر آخر هو التدخين فوق الباصات في شوارعنا وفوق حافلات النقل الجماعي بين المدن إن السلبية التي نعيشها مع هذه الظواهر أضرت بمعالمنا الحضارية وأثبتت إننا مازلنا بعيدين عن ركب الحضارة المعاصرة والتمدن، ولدى الكثير منا قاموس بمفردات تعمق السلبية في المجتمع مثل: ما دخلني ،أنا رب ابلي، ما ناش مسئول عن العالم ،حجر برأس غيرك احسبه بالسوم، كل واحد ذنبه على جنبه، باب يدخل لك منه ريح سده واستريح، وكل تلك الأمثلة هي للهروب من الواقع وتؤدي إلى تمادي وانتشار الأمراض الاجتماعية المختلفة، والتي نحن بحاجة إلى التخلص منها.